مجـــلة

كلية الدراسات الاسلامية والعربية

للبنـات بسـوهاج

مجلة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بسوهاج

العـدد الحـادى عشر

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مطبعة الأمانة

٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

البطولة
في شعر أبي القاسم الشابي

د/ محمد على حسن أحمد
مدرس بكلية البنات بأسيوط

يشيع لفظ « بطولة » وسط الناس ، وتعرفه المجتمعات على اختلاف أجناسها ويستعمل بكثرة فى المجال الأدبى ، فى الرواية والقصة والمسرحية ، ولكن هذا اللفظ لم يتردد فى الشعر العربى — القديم خاصة — الا بقلة فى مثل قول المتنبى يمدح سيف الدولة :

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

والذى استعمل فيه اللفظ هو مرادف «البطولة» من مثل «شجاعة» أو ما ينطوى فى معناه من ملامح وصور فى القديم ، وعبقرى وعظيم فى الحديث ومعنى البطولة واسع لا يحيط به الفكر داخل أى نطاق ، مادامت الحياة تزخر بالعديد الذى لا يحصى من ألوان البطولة وأصناف الأبطال التى تحفل بها البشرية على كر السنين وتعاقب الأجيال ..

ولعل الاستعمال اللغوى للفظ « بطولة » وما سجلته أقلام المعجبين بها وما فاضت به قرائح الشعراء ، يكشف عن بعض مفاهيم « البطولة » فى القديم والحديث ويكون توطئة نفسح المجال للمقارنة بين مفهومنا للبطولة ومقوماتها ، وبين مفهوم الغرب وكبار مفكريه لها ، ومدى التقارب الشديد بين هذه المفاهيم ومدى تحقق ذلك فى شعر الشابى .

ففى اللغة(١) : البطل الشـــجاع ، ورجل بطل : بين البطـــالة والبطولة : شـــجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها • وقيل : انما سمى بطـــلا ، لأنه يبطل العظام فيبهرجها (أى يهدرها ويبيحها) • وقيل : سمى بطلا لأن الأشـــداء يبطلون عنده وقيل : هو الذى تبطل عنـــده دماء ، الأقران ، فلا يدرك عنـــد ثأر ، وقـــد بطل يبطل بطولة وبطالة : صار شجاعا ، البطل : جمع أبطال : الشجاع المقـــدام ، المتفوق عـــلى الآخرين فى لعبـــة رياضية أو نحوها : هو بطل من أبطال السباحة ، بطل بطولة : شجع واستبسل فهو بطل ••

وتعريف الشجاعة : شجع شجاعة اشتد عنده البأس ، والشجاعة شدة القلب عنـــد البأس •

وفى المنجـــد : شجع شجاعة : كان جريئا مقـــداما غير هياب ، الشجاعة : الجرأة والاقـــدام وشدة القلب عند البأس •

وفى كتابات بعض الفلاســـفة • يقـــول كارليل(٢) الفيلسوف الاسكتلندى الشهير فى كتابه : « الأبطال » وهو الذى قـــرر بانصاف وبتجرد عن التعصب الذميم أنهم أمل للاعجاب ، حريون بالتقديس •

« وفى اعتقادى أن التاريخ العام ، انما هو تاريخ من ظهر فى الدنيا من العظماء فهم الأئمة وهم الأسوة والقـــدوة والبطولة فى نظرى هى العروة المقدسة التى تعقـــد الصـــلات ما بين الرجل العظيم وبين

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، رائد الطلاب (جبران مسعود) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية •

(٢) نقلا من (الشعر والمجتمع) منشورات وزارة الأعلام ـ الجمهورية العراقية سلسلة كتاب الجماهير رقم ٢١ •

الناس ، وما منا الا من يعشق الأبطال ويجلهم وينحنى اكبارا لهم ألا يحس المرء أن فى اجلاله لمن هو أرفع منه ، رفعة لنفسه » ؟

وأن الأقوام الوثنيين كانوا يعتقدون أن الشجاعة فرض محتوم على كل حر كريم ، وعلى الانسان أن يكون شجاعا ، وأن يقهر الخوف ، لأن من لا يقطع دابر الخوف خليق أن يخبث نفسه ويفسد طبعه ، والحقيقة أن الشجاعة ينبوع الرحمة ينبوع الصدق والشرف والكرم والمروءة والبر وسائر المحامد والمناقب ..

ويقول فى معرض التحدث عن حياة النبى (العربى) محمد ابن عبد الله — صلوات الله عليه وعلى آله — وقد أعتبره بطلا فى صورة رسول : « والرجل العظيم فى نظرى مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون والرجل العظيم هو الذى علمه الله العلم والحكمة » .

ويقول : « والحق أقول لقد كان أولئك العرب أقوياء النفوس كأن أخلاقهم سيول دفاقة لها من شدة حزمهم وقوة ارادتهم أحصن سور وأمتع حاجز وهذه وأبيكم أم الفضائل وذروة الشرف الباذخ ويزعم أن العرب من عنصر اليهود ، والحقيقة أنهم شاركوا اليهود فى حرارة الجو وخالفوهم فى حلاوة الشمائل ورقة الظرف وفى المعيشة القريحة وأريحة القلب » .

ويقول فى معرض كلامه عن بدء الدعوة ونهوض على — رضى الله عنه — لتأييده وهو غلام يفع : « أما على فلا يسعنا الا أن نحبه ونتعشقه فانه فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبرا ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة ، وكان أشجع من ليث ، ولكنها شجاعة ممزوجة بالرقة واللطف والرأفة والحنان ... » .

ويقول : « وكذلك أرى فى محمد دلائل شاعرية كبيرة وآيات

على أشرف المحامد وأكرم الخصال ، وأتبين فيـــه عقلا راجحا ، وعينا بصيرة ، فؤادا صادقا ورجلا عبقريا لو شاء لكان شاعرا فحلا أو فارسا بطلا أو ملكا جليلا ، أو أى صنف من أصناف البطل ••• » •

ونستشرف مفهوم البطولة من آراء بعض مفكرى الغرب ونظرتهم الى الفـــن ومنـــه الشـــعر ــ وغايته ، فيعتقد « جونسون »(٣) ويؤكد « أن الشرط الأول فى جميع مجـــالات الحيـــاة هو المعرفة الدينيـــة والأخلاقية بالصواب والخطأ فنحن دعاة أخلاقيون على الدوام ••• ان غاية الشعر هى التوجيه من خـــلال الامتاع ، ومع ذلك فان الفـــن لا « يمتع » الا اذا كان أخلاقيا (٤) •

وقد دعا رواد حركة « الانسانيين الجـــدد » الذين يتركزون فى أمريكا خاصة الى الاهتمام بالقيم الانسانية ، ويصرون على اســـتقلال الانسان عن الطبيعة ، وحرية ارادته ، ومهمة الأدب عندهم أخلاقية ، ومن أهم ما يدعون اليـــه كذلك ضبط النفس ، وتقليد النماذج الانسانية الممتازة فى الأدب(٥) •

أما الأخلاق فتهتم بالعلاقات بين العمل وأشياء أخـــرى ، ومن ثم فانها تؤكد نتائج الفن ، أى تأثيره فى السلوك ، وفى النظم الأخرى فى المجتمع ، وأوضاع الحياة البشرية بوجه عام ، فالأخلاق تعيد العمل الى علاقاته المتبادلة التى أخرجه منها الاهتمام الجمالى ، وعلى ذلك فمن

---

(٣) صموئيل جونسون • صاحب كتاب تاريخ راسلاس •

(٤) النقد الفنى ، تأليف جيروم ستولنيز • ترجمة د/ فؤاد زكريا ص ١٨٤ ــ ١٩١ •

(٥) نقد الشـــعر د/ الربيعى ص ٥٣ ، ٥٤ ؛ منهـــاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى ص ٦٣ وما بعدها •

الواجب اخضاع كل أوجه نشاطنا لسيطرة العقل وأى أوجه نشـــاط تقضى على « صـــحة الروح » ــ على حـــد تعبيره المجازى ــ يمـــكن أو يجب أن تستهجن أخلاقيا ، ذلك لأن هـــذه الأفعال تولد الشـــقاء للفرد وعدم الاستقرار للمجتمع(٦) •

ويعرف الجرجانى فى كتابه : « التعريفات » الخلق ، فيقول(٧) « الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصـــدر عنها بالأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فـــكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصـــدر خلقا ســـيئا ومعلوم أن الاسلام قـــد ربط « المروءة » التى هى معنى من معانى الأخلاق ــ بالعقيدة ــ فأصبح المســـلم يصور ايمـــانه بالدين الجديد وحث المسلمين على حسن الخلق ، والعفو عن الاساءة(٨) •

ونستعرض أخيرا ــ بعض مفاهيم الشـــعراء العرب من قدامى وحديثين لمعانى البطولة حتى تتضح لنا ألوان شتى من ضروب الشجاعة وهى فى مجموعها انما تدور فى اطار المكارم الخلقية والخصال الذاتية الحميدة والمشاعر القومية النبيلة والتفانى فى دفع الشر والحفاظ على الكرامة والدفاع عن الأخ والجار ورد العدوان واباء الضـــيم ودفـــع الظالم ورفعها والذود عن الحمى والأهل والديار •

فالشجاعة اذن هى شـــعار كل ذى خلق كريم ، لا يقر الخـــوف

---

(٦) انظر : النقد الفنى ص ٥١٢ وما بعدها •

(٧) التعريفات للجرجانى ص ١٠٦ •

(٨) شعراء صدر الاسلام للدكتورة / وفاء فهمى ص ٢٧٦ •

ولا يقبل الضعف ولا يرضى لنفسه أن تتردى فى مهاوى الذلة والتردد ، وهى منطلق الناس الى التحرر من هذه العلل القاتلة ... والشعر فى هـذا المجال فى أدبنا العربى كثير وحسبى أن أقف على نماذج تكشف مفاهيم البطولة (الشجاعة) يصف قريط أنيف أحد بنى العنبر ، بنى مازن فى معرض عتبه على قـومه اذا استنجد بهـم فلم ينجـدوه فيقـول(٩) :

قوم اذا انشر أبدى ناجـذ به لهم
طاروا اليـــه زرافات ووجـــدانا

لا يسألون أخـاهم حـين ينـدبهم
فى النائبـــات على مقال برهـــانا

الشجاعة فى بنى مازن ، أن يهبوا بجمعهم لدفع الشر اذا ما دهمهم دون سؤال أو تردد فالنجدة أولا ورفع الضيم ثانيا .

وعندما يصف الفنـد الزمانى قومه ، وقـد أعرضوا عن قتـل بنى ذهل عسى أن يرتدعوا ويرجعوا عن العـدوان ، بالحلم والصـفح تما تقضى الشجاعة وكرم النفس فانما يفعلون ذلك لئلا يتهموا بالتسرع الذى غالبا ما يصدر عن نزعة هى أقرب للضعف منها الى القوة وماذا تضيرهم الأناة ماداموا واثقين من أنفسهم ، يقول :

صـفحنا عن بنـى ذهـل
وقلنـا القـوم اخـوان

---

(٩) الشعر والمجتمع ص ٨١ سليم الزركلى .

عسى الأيام أن يرجعـــــ
ن قوما كالذى كانـــــوا
فلمـــا صـــرح الشـــر
فأمسى وهـــو عريـــان
ولم يبق ســـوى العـــدوا
ن ، دنـــاهم كمـــا دانـــوا
مشـــينا مشـــية الليـــث
غدا ، والليث غضـــبان
يضـــرب فيـــه توهـــين
وتخضـــيع واقـــران
وبعض الحلم ، عند الجهـ
ل ، للـــذلة اذعـــان
وفى الشـــر نجاة حيـــ
ن لا ينجيـــك احســـان

والحلم واحد من عناصر الشجاعة ، ولكنـــه حين يقود الى المذلة والاذعان لها وجب أن يدفع الشر بالشر ، ففى ذلك نجاة ...

ويتغنى سعد بن ناشب ، وهو من بنى مازن ، بشجاعته وقد هدمت داره بالبصرة وحرقت ، فيتوعد أن يغسل العـــار عن نفســـه بالسيف راضـــيا بقضاء الله ، فيقول :

سأغسل عنى العـــار بالسيف جالبـــا
على قضـــاء الله ، ما مكن جالبـــا

واذ هلّ عن دارى ، واجعلّ هدمهـــا
لعرضى من باقى المـذمة حاجبـــا

ويصغر فى عينى تلادى ، اذا انثنت
يمينى بادراك الذى كنت طالبـــا

فان تهدموا بالغـدر دارى فانهـــا
تراث كريم لا يبـــالى العواقبـا

اذا هم لم ترد عزيمـــة همـــه
ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبـــا

اذا هم ألقى بين عينيـــه عزمـــه
ونكب عن ذكر العواقـب جانبـــا

ولم يستشر فى رأيـه غـير نفسـه
ولم يرضَ الا قـائم السيف صاحبا

وانها لعمرى لصورة شاملة ، تجمع كلّ معانى البطولة ومظاهرها وتغنى عن التطلع لكثير من صور البطولة غيرها ...(١٠) .

ويرى المتنبى أن من تمام الرجولة أن يكون الرأى حليف الشجاعة وظهرها وهو يقدمه عليها فيقولّ :

الرأى قبل شـجاعة الشـجعان
هو أولّ ، وهى المـكان الثـانى

---

(١٠) الشعر والمجتمع ص ٨٢ .

فاذا هما اجتمعا لنفس حـــرة
بلغت من العليـاء كلّ مـــكان

ويضيف البحتـرى حسن التدبير ، فيقول :

أضاف الى التدابير فضل شـجاعة
ولا عزم الا للشـجاع المدبـــر

ويرى أبو تمام أن الشجاعة والكرم صنوان متلازمان حيث يكمل أحدهما الآخـر فيقول :

واذا رأيت أبا يزيـد فى نـــدى
ووغى ، ومبـدىء غارة ومعبـــدا
يقرى مرجيـه مشـــاشة مالـــه
وشـبا الأسـنة ثغـــرة ووريـدا
أيقنت أن من السـماح شجـــاعة
تدمى ، وان من الشجاعة جـــودا

ويقول قدامة بن جعفر متأثرا بفـكر « أفلاطون » انه لمـا كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ... انما هى العقل والشجاعة والعدل والعفة .. كان القاصد لمدح الرجال بهـذه الأربع الخصـال مصيبا ، والمـادح بغيرها مخطئا (١١) .

ويرى أن من استوعب فى مديحه كلّ هـذه الفضائل ولم يقتصر

---

(١١) نقد الشعر ص ٦٦ تحقيق : كمال مصطفى ، الدين والأخلاق فى الشعر ص ١٦٧ ، د/ محمد سعد شنوان .

على بعضها هو البالغ فى التجويد الى أقصى حدوده • واستدل على ذلك بقول زهير بن أبى سلمى فى مدح حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى •

أخى ثقة لا تهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فمن مثل حصن فى الحروب ومثله
لانكار لضيم ، أو لخصم يجادله ؟

ويعطينا خير الدين الزركلى صورة فذة للبطولة(١٢) مجردة من جميع عناصر القوة فى اطار مغامرة تاريخية مشهورة فى شخص عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » ، الذى فر من الخصوم الحاقدين الى بلاد الأندلس حيث أسس دولة أموية جديدة امتدت ظلالها عدة قرون ، ونقلت الى الغرب حضارة مازال علماء الغرب يشيدون بفضلها وأثرها فى حضارتهم الحديثة فيقول فى قصيدته « صقر قريش » :

للملك أهل ، وللتيجان أهلونا
لا يهدم الدهر ما هم فيه بانونا

وللبطولة ذكراها ، يقدسها
عبادها ، ولها عنها محامونا

(١٢) الشعر والمجتمع ص ٩٠

فتى أطل على الأيـام فابتسـمت
وكان سرا من الأسرار مكنـونا
ما صـده اليتم طفـلا عن مطـامحه
بل زاده اليتم تأميـلا وتمـكينا
من كان يؤمن ايمـانا بدعـوته
أجـابه الفلك الدوار آمينـا
ومن تكن خلصت للمجـد نيتـه
أصـحاب نجحا ، على الأيام مضمونا
ارادة تستنزل العصـم ماضـية
وعزمة تصـدع الأطـواد توهينا
وللعزائم ما ترضى ، فان وهنـت
خابت ، وان تمض آبت فى المحاينـا

وعلى ضوء ما سبق ذكره تبين أن البطولة هى العالم غير المحدود الذى يضم كل ظواهر الأخلاق والدفاع عن الأوطان والتضحية ولفـظ كل عمل يغايرها وعلى هـدى من هـذه المفاهيم سيتبين ويتأكد لنـا معرفة سبب وصف الكثيرين لشعر الشـابى ـ كشـاعر معاصر مات شابا ـ بأنه خالد يبقى مع الزمن ، حيث خرج الشابى بتجـاربه من الذاتيـة الى العمومية ، وجاء شعره معبرا عن التفسير الوجدانى للحياة مرتبطا بكفاح الانسان الدائب نحو حاضر مشرق وغـد أفضل للجنس البشرى وهـذا ما يقصده البحث من خـلال نماذج من أشعاره ويحسن بى قبل الوقوف عليها أن أكشف عن رواقـد هـذا الشعر وأثرها فيه *

روافد شعر الشابى :

١ ـ مولده ونشأته :

فى شهر مارس ١٩٠٩م • وفى ضاحية من ضواحى الجنوب التونسى ، وشتها الطبيعية بألوانها وظلتها كعروس بالظلال من أشجار النخيل والثمار من بساتين البرتقال ورقرق بين يديها الماء عذبا فياضا فى « الشابية » ولد الشابى وآهل على الدنيا ، فنان عرفه أهلها ثم تاريخها •

هيأت الشابية له من ورق الورد وشفافيته ونعومته ونفاسته ، قلبا فيه الرفيف والرقة والعطر والحساسية ، وقصر العمر أيضا من الورد وترعرع الشابى واستوى شابا فى كنف والد مثقف ، اقتبس من علمه وأدبه فقد تخرج هذا الوالد(١٣) من الأزهر ثم درس بجامع الزيتونة بتونس وعمل قاضيا شرعيا • يقول الشابى متحدثا عن أبيه : « انه أفهمنى معانى الرحمة والحنان وعلمنى أن الحق خير ما فى هذا العالم وأقدس ما فى الوجود •

وسار الشابى فى طريق والده فالتحق بجامع الزيتونة وحفظ القرآن الكريم كله وهو فى التاسعة • ونال نفس الاجازة التى حصل عليها والده •

---

(١٣) انظر : مجلة الامام • العدد الخامس السنة ٣٢ فى ١٩٣٤/١٢/٣١م • للأستاذ : محمد صادق دسيس الشريف ص ٣٦ • وشعب وشاعر (أبو القاسم الشابى) ص ٣٥ نعمات أحمد فؤاد • ومختارات من النصوص العربية (ارادة) الحياة مطبوعات وزارة التربية بالكويت ص ١٩٨ •

توفى والده سنة ١٩٢٩م • ووجد أبو القاسم نفسه مسئولا عن أسرة كبيرة •• ولم يكن قد اعتاد هذه المسئولية فى حياة والده وثقل الهم على صدره فأصيب بداء القلب الذى لم يمهله طويلا • فتوفى سنة ١٩٣٤م • وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ••

ومن تأملات هذه الخطرات(١٤) :

ينقضى العيش بين شوك ويأس
والمنى بين لوعة وتأس

هذه سنة الحياة ، ونفسى
لا تود الرحيق فى كأس رجس

ملىء الدهر بالخداع ، فكم قد
ضلّ الناس من امام وقس

كلما أسأل الحياة عن الحق
تكف الحياة عن كل همس

لم أجد فى الحياة لحنا بديعا
يستبينى سوى سكينة نفسى

تظهر هذه الخطرات شدة آلامه التى تضاعفت عليه من كل جانب موت أبيه ومرضه الذى جعله شديد الاحساس بدنو الموت منه واختطاف القدر فتاته التى أحبها وكلف بها ، وقد تزوج بأخرى لم يجد فيها المثل الأعلى هذه الآلام امتزج بها منذ فتح عينيه على

---

(١٤) ديوانه (أغانى الحياة) قصيدة الدموع ص ٤٦ •

الحياة ليجد التخلف الفكرى الذى كان عليه شعب تونس فى ذلك الحين والأوضاع السياسية الاستعمارية فى تونس فقد وقعت تحت نير الاستعمار الفرنسى سنة ١٨٨١م • واستهدف بشتى الوسائل الابقاء على الأوضاع لكل ذلك جعل الشابى يستنفر قومه وشعبه ويحثهم على الخلاص وارادة الحياة •

٣ ــ ثقافتـــــه :

جمعت ثقافة الشابى بين الأدب القديم والحديث ــ من خلال دواوين الشعر ــ فأمده ذلك بثروة لغوية وأعانه على سلامة التعبير وجمال الصياغة وألم بآداب الغرب وحضارته مترجمة ، لأنه لم يكن يعرف لغة أجنبية ، وتعرف على المدرسة الرومانسية من خلال قراءته لبعض الكتاب والشعراء العرب من دعاة التجديد فى الشعر العربى أمثال العقاد ، وجبران وتأثر به فى نزعته الصوفية الواضحة •

واتصل بأبى شادى(١٥) وشعراء المدرسة ، وكتب فى مجلة أبولو فصولا نقدية ، ونشر شعره على صفحاتها بل كتب مقدمة ديوان أبى شادى « الينبوع » يقول ابراهيم العريض : « ان الشابى كان ممن انتفع بالمثل الذى حملته مدرسة أبولو » ومن مظاهر تأثر الشابى بهذه المدرسة فى شعره أنه أخذ فكره قصيدة •• ، « ارادة الحياة » من قصيدة لأبى شادى عنوانها « النهضة ارادة »(١٦) •

---

(١٥) الأدب العربى الحديث ومدارسه ٢/٩٢ د/ محمد عبدالمنعم خفاجى •

(١٦) ديوان الشفق الباكى •

وكذلك قصيدة الشابى « عـذبة أنت الخ » تجاوب فيهـا مع قصيدة أبى شادى « عروس المـأتن »(١٧) ومطلعها :

عذبة أنت فى الخفاء وفى الجهـ
ـر وفى الهجر يا أغانى الظـلام

وأنه تجاوب فى موسيقاه فى قصيدته « الصباح الجديد » التى مطلعها :

اسـكنى يا جـراح اسـكنى يا شجون

مع قصيدتين لأبى شادى ، أولاهما : الوداع(١٨) وثانيتهما : بعد الصيف(١٩) فقد تجاوب الشابى فى قصيدته مع هاتين القصيدتين فى الموسيقى والصور كما تجاوب معهما كذلك الشاعر ابراهيم ناجى وكان الشابى وناجى معجبين بكلتا القصيدتين(٢٠) .

٣ ــ رهافة حس الشـابى وغربتـه :

عاش الشابى ــ مع ضوارى آلامه ــ يضج كيانه بالحياة والطموح وشعور الاقتحام والتوثب وعلى نقيضه يرى حوله قوما عزيز عليـه ما هم فيـه من خمول وتأخر وبلادة . كل ذلك كان مصـدرا لرهافة حسه وشبوب شـعوره وتوتر أعصـابه دائمـا وارهاقها يعترف بتلك

---

(١٧) ديوان زينب لأبى شادى .
(١٨) ديوان قطرة من يراع .
(١٩) ديوان أشعة وظلال .
(٢٠) الأدب العربى الحديث ومدارسه ٢/٩٣ .

الحالة ويعلنها فى قوله(٢١) :

واليوم أحيا مرهق الأعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس أحفل بالعظيم والحقير
تمشى على قلبى الحياة ويزحف الكون الكبير
هذا مصيرى يا بنى الدنيا فما أشقى المصير ؟

فارهاقه وتعبه أنه مراقب دقيق لما يدور حوله مهما كان حجمه « ويابنى الدنيا » يامن تخالفونى أنا منكم غريب •

وعندما تتعارض آلامه مع آماله يبدو للناس مضطربا (روح تراها تارة ساخرة هازئة بالحياة وما فيها وأخرى عابثة متعلقة بأهدابها والحقيقة هى روح مضطربة مالها من قرار)(٢٢) •

ولا عجب فى ذلك فآماله كامنة قابعة حبيسة فى قلبه الكبير الذى يضم عوالم شتى يتمنى تحقيقها فهى لا تغيب عنه ولن تفارقه •

يا قلب كم فيك من دنيا محجبة
كأنها حين يبدو فجرها أرم(٢٣)

يا قلب كم فيك من كون قد اتقدت
فيه الشموس وعاشت فوق الأمم

---

(٢١) الديوان قصيدة « الجنة الضائعة ص ١٥٠ •

(٢٢) مجلة الامام العدد الخامس •

(٢٣) مدينة أسطورية زعم أنها بنيت على ضفة من الجنة •

يا قلب كم فيك من كهف قد انبجست

منه الجـداول تجرى مالها لجـــم

تمشى .. فتحمل غصنا مزهرا نضرا

أو وردة تشوه حسـنها قـدم(٢٤)

مل هـذا النغم يكشف عن روح مدئه لا مضطربة واضطرابها عنـدما تصدم بخيبة تحقق امالها .. لا تناقض بين مثل هـذه الابيات وابيات الالم مادام الشابى يتنفس بهـا عن نفس صـادقه تجمع بين الالم ورسل الامل لتهدهد ثورتها ويقر عليها اشجانها .

والعجيب أن يتهم الشابى بكفره بحاضر الانسانيه من احد النقاد الذى يرى ان شعور الشابى بالامتياز قـد اوهمه ألا مكان للصـواب الا فى جانبه ، وانه وحـده البصير بمعانى الحيـاه فانتهى الى نظر يحاضر الانسانية وماضيها ومستقبلها واندار قيمه الحياة(٢٥) .

ثم يعود يناقض نفسه ويقرر أنه « يقظة » الاحساس هى التى خلقت لنا منـه ذلك الشاعر الطموح ، الذى يعيش لامال واحـلام المستقبل ويرسل صرخات مدوية داعية الى السير فى موكب الحيـاة المتطـور ..

فأين كفره بالانسانية وهو يدعو لآمال وأحلام المستقبل ان من شأن من يكفر بالانسانية أن يتبلد حسه ويجمد قلبه والشابى لم يكن كذلك باعتراف الناقـد فهو يطلق صـيحات تزلزل قلوب الراكدين وهل من مستجيب .

---

(٢٤) الديوان قصيدة « الأبد الصغير » ص ١٥٦ .

(٢٥) كتاب اشابى وجبران » للأستاذ خليفة التليسى ص ١٠٤ .

وبسبب اتقاد حسن الشابى ، بدا للناس متوجسا من الغـد وما يحدث فيـه فيقول(٢٦) :

فاذا سرنى من الفجر نـور
ساءنى ما يسر قلب الظـلام

كم بقلب الظـام من أنـة
تهفـو بغصـات صـبية أيتـام

ونشـيج مضرم من فتـاة
أنهضتها قـوارع الأيـام

ونواح يفيـض من قلـب أم
فجعت فى وحيـدها البسـام

وأنـين من معدم ، ذى سـقام
عضـه الدهر بالخطـوب الجسام

يلمح بارقة الأمل تشع أمامه فيفرح ولكن سرعان ما يخبو أمـام توجسه فيحزن وأنه لبارع فى تصوير الحالين فيرمز للأمل « بالفجر » وللبؤس « بالظلام » ويكشف احساسه تجاه النقيضين (سرنى) — (ساءنى) .

ومن فرط حسه وحبـه أنه أحاط بكل ما يخاف عليه فى مجتمعـه (عثرات الصبية الأيتام — الفتـاة التى حطمتها الخطـوب — الأم المفجوعة فى ابنها الوحيد — والفقير العاجز عن الكسب ولم يرحمـه الدهر فأصابه ورماه بالشدائد الجسام . لم يترك شيئا الا توجس من أجـله حبا وشفقة فهو متألم لمجتمعه كله .

---

(٢٦) الديوان — قصيدة يا رفيقى ص ٧٤ .

لقد كشف الشابى عن نفسه صراحة ليوفر على الناس تكهن الأسباب وتفسير شعره بهذه الكلمات التى بعث بها الى صديق له خالية من سمة التكلف والتعليل والمرسوم قال : « انى لازلت كالماضى أشعر فى صميم نفسى بأن الأقدار تحاربنى ، وانما الفرق بينى وبين نفسى الأولى أننى كنت أتقبل آلام الحياة وأتحسس أشواكها بنفس ضارعة وقلب دامع باك ، أما الآن فاننى ألقاها ببسمة الساخر ونظرة الحالم المنتشى بجمال الوجود(٢٧) .

انه يشعر بالاضطهاد .. الاضطهاد من القدر .. هذا تفسير الشاعر نفسه وهذا افصاح عن حالته ، مرضه الوبيل .. ويتمه المبكر وحبه الفقيد .

وتضطرم نفس الشابى وتسأم عندما يشعر بالغربة وهو بين أقوام ينكرهم وينكرونه لا يألفهم ولا يألفونه ، هو بين أعداء سافرين أو مقنعين فمنهم ذئب ينم عليه حر أنفاسه ، ومنهم عدو فى ثياب صديق كالثعلب هذا الجو — الغربة — هو الذى قض عليه مضجعه وهو الذى أثقله بالآلام ، وهو الذى حرك فيه فيض الشعر يعزو مواطنه الأستاذ أبو القاسم محمد كرو . فيما يعزو . شعور الشابى بالغربة ذلك الشعور الذى يراه أبو القاسم أول احساس واضح تضطرم به نفس العبقرى بين بقية النفوس الخاملة القانعة ، والذى يراه مرة أخرى مصدر الهام العبقرى ونبوغه(٢٨) لم يألف الشابى أكثر المعاصرين له ولم يستطع فهم ما يعبر به أو يرمى اليه . هذا الغبن يحسه الشابى احساسا عميقا جارحا فاذا فضفض وما أكثر ما يفعل ..

---

(٢٧) كتاب « مع الشابى » للأستاذ الحلوى ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢٨) كتاب « كفاح الشابى » لأبى القاسم محمد كرو ص ١٠٧ .

سمعت منـــه هـــذا الأنين(٢٩) •

قضيت أدوار الحيـــاة مفـــكرا
في الكائنات ، معـــذبا مهمـــوما

فوجدت أعراس الوجـــود مآتمـــا
ووجـــدت فردوس الزمان جحيما

وحضرت مائدة الحياة ، فلم أجد
الا شرابا آجنـــــا مســـموما

ونفضت أعماق الفضاء فلم أجـــد
الا سكونا ، متعبـــا محـــــموما

معاناته ليس لها بر يقيه ولا بحر ولا جو • نراه شـــقيا مكدودا لم يدعك تتلمس شفاوته من خلال حسن تعليـــله وانما يفصح عنهـــا بقـــوله :

أنـــا الشـــــقى ، فعشـــــت
مشـــطور الفـــؤاد ، يتيمـــــــا

في غربـــة ، روحيـــــة ملعـــونة
أشواقها تفضى عطاشـــا هيمـــا

ويصوب النقاد سهام نقدهم للشابى فى مثل هـــذه الأشعار ، فمنهم من يطلق حـــكمه عليه بالتشاؤم فيراه (شاعرا متشائما يائسا ، يحاول أن يزين شعره أحيانا بشىء من روح الأمل والتفاؤل • الا أنـــه

---

(٢٩) الديوان ص ٨١ قصيدة (صوت تائه) •

كان متقلبا بين الأمل واليأس وكان اليأس عليه أغلب)(٣٠) • ومنهم من علل تشاؤمه بأن الشابى قال كل شعره فى طور الصبا وهو يعيش فى عائلته المحافظة وقاله نقمـــة على نفسه وعلى الكون والمجتمع وهو (أى التشاؤم) النزعة القوية للالتجاء الى الحلم من أذى الواقع(٣١)•

وحول هـــذا التعليل ان قبل من صاحبه رأيه فى تشاؤم الشابى فانه لا يقبل منـــه على الاطلاق ، اعتبار رسالة المصلحين فى كل زمان بأنهم ناقمون على أنفسهم وعلى الكون والمجتمع ، ونسى الناقد جـــو تونس وقت الشابى وخمولها وتخلفها والشاعر يحبها ويريد لها الخير لكنه لم يتحقق فماذا عساه يراه • ان الصفوة من خلق الله ــ الأنبياء ــ شعروا باغترابهم وأحزانهم وأصيبوا بالأسى والألم •

شـــعر الشـــابى لم يكن بدافع النقمـــة وانما كان بدافع الحب والاصلاح ولم يجـــد أمامه ما يبثه لواعجه سوى ناى شعر ، فأخـــذا يشدو عليه أغانى مشجية نظمها والدموع تنهمر من عينيه ، وهى لذلك تعـــد أشجى أغانينا فى العصر الحديث(٣٢) •

ومهما يكن من أمر هـــذا الشعر واختلاف النقاد حـــوله ، فان شعره قـــد توافرت فيه « الهيئة النفيســـة » الصادقة التى تلتزم بما يتحرك فى كوامنها ، وتوافرت له الشاعرية التى فى جملتها فى أى جيل

---

(٣٠) كتاب (شاعران معاصران:ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابى) للأستاذ / عمر فروخ ص ٥ •

(٣١) كتاب (الشابى) للأستاذ أبى القاسم محمد كرو ص ٣ •

(٣٢) كتاب (دراسات فى الشعر العربى المعاصر) د: شوقى ضيف ص ٥١ ، ٥٢ •

من الأجيال عبارة(٣٣) عن نقـد لمقدار ما حققه هـذا الجيل فى طريقة معيشته وفى ايمانه ونظمه من الصفات العـامة للحياة الانسانية •

بطـولة الشابى الشعرية :

ليس بدعا أن أبحث عن مفهوم البطولة فى شعر الشابى وأن أصف الشابى نفسه بها ، فالنفس تشدو بالأبطـال تقـديرا وتسـعى الى تحقيق ما حققوه طموحا والبطولة هى غاية الكبير والصغير الرجل والمرأة والشجاع والعالم والأديب ، واذا كان كبار النقاد قـد اختلفوا فى تفسير أشعار الشابى ــ كما سبق ــ فانهم أعطوه ــ يكاد جميعهم ــ حقـه من الأوصاف التى ترادف « البطولة » والتى انبثت فى خـلال مناقشاتهم شعره وفى مختلف نواحيه • فقـد وصفوه بالعبقـرية والنبوغ(٣٤) وتصفه نعمات أحمد فؤاد بالامتياز وتشبه غربته بـين قومه ــ ضمنيا ــ بغربة الأنبياء فتقول :

« اذن هو تفرد الامتياز فلا هو راض عن الناس ، ولا الناس عنه راضون وقديما قالوا « لا كرامة لنبى فى قومه »(٣٥) •

ووصفه بعضهم بالعملاق بين الأقزام فقال : « ليس خيالا شعريا ولا تشاؤما ما نجده فى شعر الشابى من احساس قوى بالغربة وكره وازدراء للمحيط ، فان العملاق لا يبدو ، ولا يكون بين الأقزام الا غريبا فى نظر كل من يراه »(٣٦) ويصفه الدكتور : شوقى ضيف بالعبقرية

---

(٣٣) كتاب (الحياة والشاعر) تأليف ستيفن سبندر ترجمة د/مصطفى بدوى ص ٤٥ •

(٣٤) كتاب « كفاح الشابى » ص ١٠٧ •

(٣٥) شعب وشاعر (أبو القاسم الشابى) ص ٣٣ •

(٣٦) كتاب « كفاح الشابى » ص ١٧ ، ١٨ •

ومعه جماعة آخرون . « فمن النقاد من يعزو الى الألم وحده شعر الشابى كله بل عبقريته نفسها »، فلولاه ــ على ما يظهر ــ ما تحركت فى داخل نفسه الباطنة عبقريته الشاعرة ، واقرأ فيما نشر وجمع من أغانيه وأشعاره ، فتراها كلها نبتت فى تربة الألم وتمايلت أغصانها فى ظلمة المرض وهمومه وأوجاعه »(٣٧) ولعله يقصد بالألم الألم الخاص والعام وما ذلك كله الا لأن الشاعر ألطف(٣٨) الناس حسا فكان ألمه أشد من ألمهم(٣٩) .

مجالات بطولته الشعرية :

من يمعن النظر فى شعر الشابى ويدققه ويطيله ، يصل الى بطولته الشعرية من خلال ايحاءات كل أشعاره وقد يلمسها صريحة ويجد أنه حققها بوحى من الدين والأخلاق والتضحية وحب الخير للناس جميعا ، وأنه قد حدد معالمها من ذخائر تراثه العربى الذى يعتبره منجم ذهب يكتنز منه حاجته ويكشفها فى ثوبها الجديد . بين ذلك وهو فى معرض كشف موقفه من التجديد فقال : (... وأنه اذا كان لزاما علينا آن نعجب بهذا الأدب ونفخر به كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية وكمنجم ذهب نرجع اليه كلما أردنا أن نصوغ لأفكارنا حليها الساحر الجميل ، فان ذلك الاعجاب لا ينبغى أن ينقلب فى نفوسنا الى تقديس فعبادة فجمود فاطباق لأبصارنا عن كلّ ما فى السماء من أشعة ونجوم »(٣٩) .

---

(٣٧) كتاب « دراسات فى الشعر العربى المعاصر » د. شوقى ضيف ص ٥٧ .

(٣٨) مجلة الامام العدد الخامس .

(٣٩) كتاب « اشابى » للأستاذ محمد كرو ص ٥٧ ، ٥٨ .

ليس بعيدا أن يرسم بطولته ورسالته من التراث العربى بل والمترجم من الأدب الأجنبى •

شعر الألم عند الشابى وايحاؤه :

يشير شعر الألم ، النفسى عند الشابى ، فتشفق عليه وتتشاع عندما تراه وقد تكاثرت آلامه حتى لتكاد تسد عليه طريقه ، وتغتاله الأوهام ، ويستسلم لحدة الانفعالات وكثرتها ، يؤثر الكآبة والتوجس ويمحى معهما ومضاته الخاطفة من التهليل والانطلاق ولكثرة هذه الانطباعات وكثرتها اختيار عناوين قصائده لتناسبها مثل(٤٠) قصيدة مآتم الحب ــ الكآبة المجهولة ــ الدموع ــ شكوى اليتيم ــ المآمة بالموت ــ الأشواق التائهة ــ وحشد ألفاظ العذاب والتى حددتها نعمات أحمد فؤاد ــ بثمانى عشرة وستمائة وألف لفظة ــ بعد احصاء قصائد الألم •

وما جاء فيها من أسماء الدهر والجن وخبا النور(٤١) ــ ولكثرة ذلك شغل بعض النقاد بتفسيره وأطلقوا عليه ــ كما بينا ــ شاعر التشاؤم •

ولكن الذى يستوحى هذا الشعر يجد وراءه غاية بطولية كثيرا ما دعا اليها المصلحون أو أظهروها بطريقة سلبية فى الاستنكار والعزلة والضيق والألم والدافع عند الشابى والمصلحين واحد ، هو حب الاصلاح والخير لأمته وهو يريد ايقاظها يقرر ذلك أحد الكتاب فى قوله : (لم تكن ــ أى رومانسيته ــ مغلقة ، فى نطاق ذاته ، وفى عالمه الداخلى ، ولكنها كانت رومانسية متفتحة على مشاكل قومه

---

(٤٠) راجع ديوان الشابى •

(٤١) شعب وشاعر (الشابى) ص ٤٣ •

وقضـــايا الوجود الانسانى تلك القضـــايا التى كان يعيشها باحساس الفنـــان الذى يرى نفســـه مسئولا عن الحيـــاة الانسانية)(٤٢) ،
وكاتب يقرر : فان ـ خريته اللاذعة وتنديده بالوضع الكريه الذى يعيش فيه وطنه وقومه انما ولدها شـــدة حب لهم .. شـــدة اشفاق عليهم .. اضطرام شوقه الى عالم أفضل يعيشونه .. فقـــد الشابى وليد حب حـــار لا نقمـــة(٤٣) .

وكاتب ثالث يرى هـــذا الرأى أو قريبا منـــه ، فعنده أن الشابى والتيجانى قـــد تأثرا أيما تأثر بما يســـود وطنهما من جمود وتقهقر وانحطاط ، وما يحيط بلادهما من فقر وجهل ومرض .. فسخطا عـــلى عيشتهما وتبرما بقومهما ، وتشـــاءما من حيـــاتهما تشـــاؤما مبعثـــه الاصـــــلاح(٤٤) .

والدكتور شوقى ضـــيف يقول : (كان احســـاس أبى القاسم الشابى حادا ، وجعلته حدته محبا للحياة صبا بها ، وشعر برؤوس أفاع تمتد اليه فى طريقه فتمنعه من السير بل ترده الى داره ان لم يكن الى فراش علته ، فرجع محزونا يجر أذياله والكآبة قـــد ملأت نفســـه ، وملأها أيضا الاحساس الدقيق بالكارثة ، وما ينتظره من موت عاجل محتوم(٤٥) . ولم يقف احساس الشابى بالألم عنـــد نفسه بل تعداه الى أمتـــه .

---

(٤٢) كتاب الشابى وجبران للأستاذ التليسى ص ١٠٦ ، ١٠٧
(٤٣) كتاب « شعب وشاعر » (الشابى) ص ٣٧ .
(٤٤) كتاب «الشاعران المتشابهان » للأستاذ أبى القاسم محمد بدوى
(٤٥) كتاب « دراسات فى الشعر العربى المعاصر » د/ شوقى ضيف ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ .

فبماذا تعتبر من يرى نفسه مسئولا عن الحيـاة الانسانية ومن يضمر الحب الحار لها عامة ولأمته خاصة ومن يرى حب الاصلاح هدفا ويرى عدم تحقيقه كارثة تسبب له كل صنوف الآلام التى تفتك به زد على ذلك ، اذا كان صاحب هـذا الهدف مريضا مرضا عضالا ألا يعتبر ايحاء كل ذلك بطولة انهـا بطولة المصلحين العاجزين عن نيل طموحهم فيتجرعونه ألمـا وحـزنا وتشاؤما يفيضون به وينتظرون الرحـيل (الموت) .

لقـد كان حـزن الشـابى من أجل حبـه لتـونس التى كانت أحوالها(٤٦) الأخلاقية والاجتماعية والسياسية تورث الحزن لا محالة عنـد المصلحين الأبطال فقط ..

وهى التى جعلتـه يرى الحـياة

... ... قفـر
مروع ، ماؤه سـراب
لا يجتنى الطرف منـه الا
عواصف الشـوك والتـراب
وأسـعد الناس فيـه أعمى
لا يبصـر الهـول والمصاب

وأعتقد أنها ليست حياته الخاصـة ، وانما هى حياة قومة الذين يحبهم ويرجو صلاح أحوالهم . يصورها وقـد خلت من كل ضرورات

---

(٤٦) مقال « آلام الشابى » من كتاب ذكرى الشابى ص ٣٣ .

الحياة ، خالية من الأمن والأمان فهى (قفر مروع) فيه ما فيه من الوحشة والفقر والخوف ، (والماء) فيه سراب خادع يؤدى فقده الى الهلاك ممن يتيقظ شعوره ، ويرمق ما يطوف حوله من هذه المخاطر المحدقة لابد له أن يحزن ، أما الذى لا يضيق وينفر من هذه الحياة المدركة بالحواس ، فهو انسان تبلد حسه وفقد نور البصر والبصيرة ويستحق من الشابى وأمثاله من المصلحين فى كل زمان أن يصب عليه وعلى الخاملين المتأخرين جام غضبه • يقول الشابى(٤٧) :

لا قلب يقتحم الحياة ولا حجى
يسمو سمو الطائر الجواب
بل فى التراب الميت فى حزن الثرى
تنمو مشاعرهم مع الأعشاب
الشاعر الموهوب يهرق فنه
هدرا على الأقدام والأعتاب
ويعيش فى كون عقيم ميت
قد شيدته غباوة الأحقاب
والعالم النحرير بنفق عصره
فى فهم ألفاظ ودرس كتاب
والشعب بينهما قطيع ، ضائع
دنياه دنيا مأكل وشراب

---

(٤٧) الديوان • قصيدة : بقايا الخريف ص ٦٢ •

ما أعظم ألمـه من هـذا الوضع والذى أخرجه فى لبنات هى قطعة منـه جاءت مصورة لمن يتصورهم فى أدق ما يكون التصوير فماذا يملك الانسان لو جرد من القلب الذى به ينبض ويعتد به فى سجل الأحيـاء وجرد من العقل الذى يميز بين الأشياء أنه مهـد لموته قبل أن يصرح به ومثل أولئك قطيع لا فرق بينهم وبين قطيع الغنم ولو علم الشابى أملا فى استجابتهم له لعـدل عن التشبيه البليـغ ولكن تشبيهه أليق بهم فلا فرق بينهم وبين ما صـورهم به كلاهما لا هم له الا المـاكل والمشرب وماعداه يداس بأقدامهم كما يدوس القطيـع ما جـف من الحشائش والأعشاب فـلا ينفع معهم علم مبذول أو شعر منظوم ، ومهما صاح فيهم فانهم لا يسمعون فيعـود من فرط حساسيته ورحمتـه ، بالارهاق يعلنه ويعترف به فى قوله :

الويـل للحسـاس فى دنيـاهم
ماذا يلاقى من أسـى وعـذاب

وماذا ننتظر من الشابى بعـد ذلك الا المـآة والكآبة مهما لاح له بصيص أملَ •

مهما تضاحكت الحياة فانني أبدا كئيب(٤٨)

(تضاحكت) لا يسلم بالضحك الخالص ولكنه كاقة وتضاحك !!

أصـغى لأوجـاع الكآبة والكآبة لا تجـيب
فى مهجتى تتـأوه البـلوى ويعتلج النحـيب
ويضـج جبـار الأسى وتجيش أمواج الكروب

---

(٤٨) الديوان قصيدة « الى عازف أعمى » ص ٧٨ ــ ٨٠ •

انى أنـا الـروح الـذى سيظل فى الدنيـا غريبـ
ويعيش مضطلعا بأحـزا ن الشـبيبة والمشيبـ

وبيته الأخير يحمل أسمى معانى الرحمة والحب والايثار ، لقـد بدا من خلاله خاصه ومن شعر الألم عامة أن الشابى من فئة المصلحين الأبطال الشاذين وسـط أقـوامهم الصرحاء فى أقوالهم المستنكرين لمـا يضر شعوبهم ، المصابين بالحزن لاخفاقهم فى رسالتهم وماذا هم فاعلون وماذا نستوحى من كلامهم ومن شعر آلام الشابى ، نستوحى عنـد عجزهم اللجوء الى الدين الى « اللـه » جل وعلا •• فالدين هو وسيلة اليائس من الخلق لا من رب الخلق والناس ، فلابد أن يضج بالشكوى اليـه والدعاء أن يرحمه فاللجوء الى الدين هو الايحاء الثانى لشعر آلام الشابى •

وصلة الشابى ـ بدينه ـ الاسلام ـ صلة حفظ للقران الكريم ونشأة : وقد سـبق ذكر ما علمه والده من معانى الرحمة والحنان ••• وكلها تعاليم الدين الذى تزود بها الشابى وصلته بالدين صلة ثقـافة دينية وقراءة فى حياته المبكرة فى كتب للصوفية وتأثره بجبران الذى كانت تسيطر عليه النزعة الصوفية • لقـد انعكس كل ذلك ، على شعره عامة وعلى شعر الألم خاصـة ••

فترى من خلال ألمـه عزاءه بالتأمل الذى يسكن اضطراب قلبـه فيقول(٤٩) :

تأملْ •• فان نظام الحياة •• نظام ، دقيق ، بديع ، فريد • يدعو

---

(٤٩) الديوان « قصيدة » حديث المقبرة ص ١٣٨ •

نفسه الى التأمل ويحثها على تدبر آيات قدرة الله وكأنه يردد قوله تعالى : « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » يردد هذا القول الكريم وما فيه من دعاء ويقتبس منه فيقول :

يا اله الوجود .. مالك لا ترثى لحزن المعذب الأواه .

ويقف متعمقا أسرار الوجود ويتساءل ، ويسبح فى تيه الغائبين وهى مقدمات لصوفيته .

اذا لم يكن من لقاء المنايا
مناحى لمن حل هذا الوجود
فأى غناء لهذى الحياة
وهذا الصراع العنيف الشديد
وذاك الجمال الذى لا يمل
وتلك الأغانى ، وذاك النشيد
وهذا الظلام وذاك الضياء
وتلك النجوم وهذا الصعيد ؟
لماذا نمر بوادى الزمان
سراعا : ولكننا لا نعود

فيها ترسيخ لايمانه بالله صاحب هذا الكون بما فيه ، هذا الايمان الذى يجعله لا يغفل عنه لحظة من يومه ليله ونهاره ، اذا قفل راجعا الى دنيا الناس وواقع قومه ذكرهم بطبيعتهم وحقوقهم التى منحها الله اياهم والتى ينبغى ألا يتهاونوا فيها : حقهم فى الحرية والتمتع بما أودعه الله هذا الكون وكأنه يقتبس قول الله تعالى « قل

من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ٠٠ » يستحضر كل ذلك فى صرخاته فى الراكدين ، علهم ينتهوا من هـذا السبات العميق يقول :

خلقت طليقا كطيف النسيم
وحرا كنور الضحى فى سماء
تغرد كالطير أين اندفعت
وتشدوا بما شاء وحى الاله
وتمرح بين ورد الصباح
وتنعم بالنور أنى تراه
وتمشى كما شئت بين المروج
وتقطف ورد الرياح فى رياه
كذا صاغك الله ، يا ابن الوجود
وألقتك فى الكون هذا الحياه
فمالك ترضى بذل القيود
وتحنى لمن كبلوك الجباه
وتقنع بالعيش بين الكهوف
فأين النشيد وأين الابـاء
ألا أنهض ، وسر فى سبيل الحياة
فمن نام لم تنتظره الحياه

٠٠٠ صرخات لكنها رقصات ذات ألحان تجمع بين أساليب البلاغة

الخبرية وهو يقرر الحقائق والانشاء وهو يثير الحوافز باستفهامات وأوامر فيها الحث والحض والاستنكار والتوبيخ أما ألفاظه فهى دقات وقرعات وبيانه لا يبارى فى التشبيهات والاستعارات تغزو كالطير : تشدو بما شاء وحى الاله فدلائل كونه وحى لمن يتدبره ويتأمله فهى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .

فاذا وجد قومه بعد هذا رمادا خابيا وهو يشكل شمعته المتوهجة فيهم ليأخذوا نصيبهم فى الحياة التى لم يزهد فيها — البعض يعلل ألمه لزهده — فيما أباح الله اذا وجد قومه سادرون فى ضلالهم لجأ الى الله يشكو اليه احتراقه فيهم ، واعتقد أنه يتناسى معها أوجاعه الخاصة ولا ينساها فاذا فشل فى رسالته عادت لتطل برأسها عليه فيحصيها وهو يجأر الى الله بالشكوى فى قوله(٥٠) :

أنت أنزلتنى الى ظلمة الأرض
وقد كنت فى صباح زاه
ثم خلقتنى وحيدا غريدا
بين داع من الرياح وناه
أنت أنشأتنى غريبا بنفسى
بين قومى فى نشوتى وانتباهى
أنت عذبتنى بدقة حسى
وتعقبتنى بكل الدواهى

---

(٥٠) الديوان — قصيدة « الى الله » ص ٩٩ .

بالأســـى بالسقام بالهم بالوحشة
باليأس بالشـــقا المتناهـــى
بالمنـــايا تغتـــال أشـــهى أمـــانى
وتذوى محـــاجرى وشفاهـــى
فاذا من أحـــب حفنـــة تـــرب
تافـــه ، من ترائب وجبـــاه
وأذا فتنـــة الحياة وســـحر الكون
ضرب من الغمـــام الزاهـــى

وايحاء الدين وأثره من خلال شعر الألم ، نراه فى هـــذه النشوة الصوفية القدسية فى هـــذه الأبيـــات ..

وفى مثل قوله :

يا غـــربة الروح المفـــكر انه ... ...

وقـــوله :

انى أنا الروح الذى ســـيظل فى الدنيـــا غريب

وفى ترديد عبارات : روح الطبيعة ، وروح الكون ، وروح الربيع ، صميم الوجود ضمير الوجود .

وهو فى هـــذا يتعمق الحيـــاة ، يتجـــاوز السطح والمظهر الى الحقيقة والجوهر .... يرى ـــ كما ترى الصوفية ، أن الانسان عرض وجوهر ، العرض فهو بدنه والروح هى الجوهر : كذا الطبيعة ، عرضها

ما تقع عليه العين من جبال وأنهار وزروع •• وجوهرها الروح المتجددة فى أعماق الطبيعة ، والمجتمع كذلك عرض وجوهر عرضه الأفراد وجوهره روح الجماعة الباقية الخالدة ، وهذه كانت صيحته الخالدة فى الشعب أن ينفض عنه ركام الزمن كما تنفض البذرة عنها ركام التراب يقول وكأنه يقنن الأزمان وللأجيال الحياة الكريمة الخالدة •

ومن لم يعانق شوق الحياة
تبخر فى جوها واندثر
كذلك قالت لى الكائنات
وحدثنى روحها المستتر

هذا شعر الألم استوحينا منه أسمى معانى البطولة حب الاصلاح والخير للناس والمجتمع ومبادىء الدين وما فيه من هدى ونور استوحينا كل ذلك من خلال صياغة فنية عالية جمعت ألفاظا كأنها معجم لألفاظ العذاب مصورة ومقتطفة من أحاسيس الشابى وصورا واستعارات وكنايات وكل ما يكتنف هذا الشعور ••

وأنه لمن العجب أن يشوه صوت الشابى وأصوات المقاومة فى نواحى الوطن باحداث لغط قصاراه التشويش فيجىء ناقد من خلال شعر الألم ليقذف برأيه أن الشابى — وقيل من قبل انه متشائم ، كفر بالانسانية — ينحو فى تشبيهاته(٥١) واستعاراته أحيانا منحى لا يقره التوحيد ، أو هو زندقة فى رأى النقاد القدماء يتكلم عن المرأة فيقول مثلا :

---

(٥١) كتاب « شاعران متعاصران » للأستاذ عمر فروخ ص ١٦٤ — ١٦٦.

أنت قدسى ، ومعبدى ، وصـــياحى
وربيعى ، ونشـــوتى وخـــلودى
يابنـــة النـــور ، انى أنا وحـــدى
من رأى فيـــك روعة المعبـــود
وحـــرام عليك أن تسحقى ، آمـــا
ل نفسى ، تصبو لعيش رغيـــــد
فالاله العظيم لا يرجـــم العبـــد
اذا كان فى جـــلال الســـجود

هل مثل هـــذه الأبيات يشتم منهـــا أن الشابى قليل الاحتفـــال بالدين ؟ ، أفيها زندقة وعبادة من دون الله للحبيب الذى اختلف فيه على انه الحياة(٥٢) وجمال الطبيعة فى الدنيا ، لأنها تضم (قدسى ، معبود) والبيت الأخـــير ...

والبيت وقصيدته « صلوات فى هيكل الحب » التى تعتبر فى نظر الناقد أشـــد ايغالا فى التحـــلل من الدين .. قال يخاطب محبوبته ، ويقيمها مقام الألوهيـــة فى القدس والعبـــادة وفى القـــدرة والارادة وفى الشفاعة والزلفى .

أنت أنشودة الأناشـــيد غنـــا
ك اله الغنـــاء ، رب القصـــيد

---

(٥٢) كتاب « دراسات فى الشعر العربى المعاصر » للدكتور : شوقى ضيف ص ٥٥ .

فدعينى أعيش فى ظلك العـــذ
ب وفى قـرب حسـنك المعبـود

وامنحينى الســلام والفرح الـرو
حى ، يا ضـوء فجـرى المنشـود

كلا ان شعر الشابى ــ والله أعلم ــ لفى علين لان غرضه الحق تعظيم الله وكم تغنى به هل يوضع فى نظر ناقـده فى سجين وحسبى للرد على الناقد هـذه الأمور المركزة :

١ ــ على رأسها تناقض الناقد مع نفسه فهو بعـد أن يرميـه بذلك يقول : (ان الشابى وان كان قـد أدار ظهره للدين : لم يكفر بالله ولم يكن زنديقا بل ظل له شىء من الايمان « بالعظيم المجهول .. » .

ان من أصغى الى صـوت المنون
وصـــــدى الأحـــــداث

ليس يستهويه ألحـان الطـيور
بين أزهـار البيـع السـاحرة

وابتسـامات الحـياة الساخرة
عـن جـــلال اللـــه

أما فى المقطعين التاليين ، فترى الشابى نفسه قـد تحـلل من مولوف الألفاظ الدينى تحللا تاما ، ودفع المحبوب الى مكان الألوهيـة أو أنزل الله الى درك المحبوب المـادى)(٥٣) .

---

(٥٣) كتاب شاعران معاصران . للأستاذ / فروخ ص ١٧٢ .

٢ ــ فى الشعر القــديم وفى شعر أبى تمام وقصته مع أحمــد ابن المعتصم ألفــاظ وعبارات وأبيات فهل يحــكم عليها بمثل ما حكم به الناقد على الشابى ، غير محتفلين بالدين أو يعبدون غير الله أو أنزلوا الله الى درك المحبوب المــادى .

٣ ــ الا تكن هــذه الألفاظ والعبارات التى ساعدت الناقد الى هــذا الحكم رموزا صوفية لا ألفاظا حقيقية .

٤ ــ هل يفهم ويســتنتج أحد المتلقين لشعر الشابى ما تحامل به الناقد عليه ؟ .. وهــذا بعض كلام المتلقين لهــذا الشعر ومثــله « واننى لأعمق ايمانا بالله من كل أحد حينما أعبر بهاته التعابير الكافرة فى نظر أولئك الناس .... فالألوهية وما تعرف منها هى رموز للمثل العليــا التى نصبو اليها بأرواحنا ونشخص اليها بأبصارنا فى هاته الحيــاة ، ولذلك فاذا أردنا أن نعبر عن معنى نحس له بجــلال المثــل الأعلى وسموه فانما سبيلنا فى ذلك أن نفرغ عليــه رداء الألوهيــة التى هى أسمى ما تتصوره الانسانية من جمال المثل الأعلى وجلاله» (٥٤)

أحسب أن الناقد واحد من أولئك الأفراد الذين جنوا ــ مــع الموت ــ على الشابى الذى أحسن الظن بالله ، وانقطع عنا هــذا النغم الذى ليتــه يحيا فى صورة شابى جديد يعيد للبطولة مفهومها ..

شجاعة الشابى وجرأته فى الدعوة الى التحرير :

كانت دعوة الشابى الى اثارة شعبه وتحريره هى أجلى مفــاهيم بطولته جاءت صريحة جهيرة عارمة وصرخاته فى شعبه مهتاجة قــوية

---

(٥٤) مجلة الفكر ، السنة الثانية العدد (١) ١٩٥٦م ، ص ١٠ .

مدوية يسمعهم روحه المتقدة وصوته الحزين ليفتحوا عيونهم على ما يدبر ويكاد لهم ، لكنهم من بلادتهم دماء لا تثور فلا يتحركون. يناديهم بقوله(٥٥) :

أين يا شعب ، قلبك الخانق الحساس ؟
أين الطموح ، والأحلام
أين يا شعب ، روحك الشاعر الفنان
أين الخيال والالهام
ان يم الحياة يدوى حواليك
فأين المغامر ، المقدام
أين عزم الحياة ؟ لا شيء الا
الموت ، والصمت والأسى والظلام
عمر ميت ، وقلب خواء
ودم ، لا تثيره الآلام .....
وحياة ، تنام فى ظلمة الوادى
وتنمو من فوقها الأوهام
أى عيش هذا وأى حياة
(رب عيش أخف منه الحمام)

فى هذه الأبيات لم يهتف الشاعر برمز ، وانما جمال هتافه

---

(٥٥) الديوان قصيدة « الى الشعب » ص ١٧٥ -

جاء بتصريحه باسم وطنـــه ، الذى يحبه ويلهج به (ياشعب) يستنكر عليه سكونه وتجاهله واقعه ويريد أن يقتلع منـــه هـــذا الخـــمول ، الذى ركد فى قلبه ، ويريد أن يدفع الخامدين بقبضة يده وأن يلفحهم بحر أنفاسهم وأن يحرقهم بانتقاد حسه ليخرجوا الى الحياة البريئـــة من الركود ، وكان يطمع فى أن يجـــد آذانا صاغية وقلوبا متفتحـــــة نقدره ونقـــدر فنـــه الذى يرسم الحياة الكريمة لهم ، ويجـــد الشابى فى الاستفهام (أين) وحرف النداء (يا) للبعيـــد وتنكير (شعب) وتكرار كل ذلك وسائل يصب فيهـــا استنكاره وبعـــد شـــعبه عنـــه وضعفهم ثم يجاهر بطلبه (أين المغامر) الشجاع الذى لا يهاب موتا (المقدام) الذى يلبى داعى القتال الظلم والقهر •

ولـــا لم يجد الشابى شيئا من ذلك ، وبلغ اليأس به غايته هوى عليهم بقذائف الفناء (الموت ، بالصفت بالأسى والظلام) واعتبرهم من الأموات وان كانوا أحياء فالويل لـــ (حياة) مهينـــة ولـــ (عيش) ذليل يأباه كل حـــر شجاع يرى الموت أهون وأفضل عليه منها •

ويرمى الشابى شعبه بلهب قوله(٥٦) :

أيهـــا الشعب ليتنى كنت حطـــــابا
فأهوى على الجـــذوع بفأسى !
ليت لى قوة العواصف ، يا شـــعبى
فألقى عليـــك ثـــورة نفســـى !
فى صـــباح الحيـــاة ضمخت أكوابى
وأترعتهـــا بخـــــمرة نفســـى !

---

(٥٦) الديوان • قصيدة (النبى المجهول) ص ١٠٣

ثم قـــدمتها اليـــك ، فأهرقـــــت
رحيقى ودمت يا شعبى كأســـى !
اننى ذاهب الى الغـــاب : يا شعبى
لأقضى الحيـــاة وحـــدى بيأســـى
والشقى الشقى من كان مثـــلى
فى حساسيتى ورقـــــة نفســـى

يرميهم بثورة نفسه وجذوة قلبـــه المتضرم والمتوهج بالنار لعلها ترعد بالشرر يلقيها على شعبه لتبعث فيه منها النار ولكن هيهات هيهات الرماد الخـــامد أن يتيقظ •

ولهذه القصيدة قصـــة يرويها أبو القاسم كرو فى كتابه (كفاح الشابى)(٥٧) (••• وتقوى الرجعية الباغية على طليعة الأحرار ، فيعلن الحـــداد من فوق منابر الجامع ويحـــكم على الشابى بالجحود والكفر على أعمدة الصحف ، وتتألب عناصر الرجعية على بذرة الاصلاح النابتة فى قلوب الشبيبة •••) •

قصيدة النبى المجهول وهـــذه الأبيات منها بوجه خاص « المطلع » لهى أعظم شـــعر قاله شاعر عربى فى حب الشعب وفى التعلق بـــه ورغبـــة الخير له •

تساءل الأستاذ محـــمد العروسى المطوى : ما هو شعور الشابى نحو شعبه ؟ وكان جوابه : (يتمثل هـــذا الشعور أولا فى الاشـــفاق

---

(٥٧) كتاب كفاح الشابى ص ٧٠ ، ٧١ •

والحسرة وابداء العطف والحنان والاستعداد للفـدا ثانيا فى اثارة الشعب ضد النظام والطغيان وفساد الأوضاع وباطل التقاليد ويشتمل ثالثا فى تهديد الظالمين والطغاة بثورة الشعب وطغيانه وسيله الجارف المغشـوم ...)(٥٨) .

وينتهى من هـذا الى أن الشـابى يئس وطغى به اليـأس الى الـنقمة ، الى الغضب العنيف الصـاخب .. انه ليثـور حتى يتمنى تحطيم هـذا الشعب ازالتـه من عالم الحياة ، ويرى الأستاذ محسن ابن حميـده أن :

(الشابى هو فى زمانه الشاعر الوحيد ، الذى كان يعيش مأساة شـعبه كلها ويحاول أن يبعث فيـه روح الثورة على الموت والايمـان الصادق بانتصار الحيـاة هـذا يجعل الشابى فى نظرى أبا الشـعر العربى المعاصر ، لأنه أول من عاش مأساته الخاصة فى مأساة شـعبه ولم يحاول فى أنانية وادعاء أن يفصل هـذه عن تلك ولربما لم يكن التلميح أو الاشارة الى مأساته الخاصة الا مجرد وسـيلة للتعبير عن المـأساة العامة)(٥٩) .

لقد كشفت هـذه الآراء ــ وهى بصدد الحديث عن سبب الأبيات ــ واتفقت على : حالة الضعف الذى يرزح تحت عبئها مجتمع «الشابى» والظلم والطغيان وفساد الأوضـاع السياسية التى نشرها الاستعمار الفرنسى فى « تونس » ووقوف عناصر الرجعية مع المستعمر ، تتعاون

---

(٥٨) كتاب « ذكرى الشابى » مقال : الشعب فى شعر أبى القاسم الشابى ص ١٧ ، ٢٤ .

(٥٩) مجلة الفكر . عدد أكتوبر سنة ١٩٥٦م ص ٣٤ ــ ٣٥ .

معـــه ، وتناهض وتقضى على كل بذرة اصلاح تنبت فى قلوب الأحرار المخلصين فى حب شعبهم والتعلق به والرغبة فى الخير له ، وان ألـم أولئك المناهضين أوجع عليهم من آلام المستعمر ونكاياتهم أشـد : الأمر الذى حـزن منه « الشابى » ومرض ، ويحزن ويمرض منه المصلحون فى كل وقت • وذروة آلام الأحرار الشجعان ، هى اخفاقهم فى ايقاظ شعدبهم ، واثارة حميتهم ، والفشـل الذى يبوءون به اذا لم يحققوا رسالتهم ، ولم يزحزحوا صخور قلوب الجامدين ••

وقـد بلغ « الشابى » هـذه الدرجة فضاق ويئس ووجد نفسه غريبا عنهم وانهال عليهم ضربا وتهديما وسخرية فى شعره ، وكان قـد سلك بهم مسلك الاغراء ، بنواحى القوة التى يتطلع اليها ، ويتطلع اليها الرواد من الشباب فى قوله(٦٠) :

اذا الشعب يوما أراد الحـياة
فلابـد أن يستجيب القـــدر
ولابـد لليـــل أن ينجـــلى
ولابـد للقيـــد أن ينكسـر
ومن لم يعانقه شـوق الحيـــاة
تبخـر فى جـــوها واندثـر

لقـد أغراهم بحياة العزة والكرامة ، حيـاة الشجعان : التى يتحطم أمامها أحصن الحواجز وأمنعها ، يتغنى بهـا الشـاعر ويراها جـديرة بالاحتفال بهـا والسعى اليها فيؤثر تعريفها « الحيـاة »

---

(٦٠) الديوان قصيدة « ارادة الحياة » ص ١٦٧ .

الحقـــة أما ما عداها فهى عبث نكرة (حيـــاة) الدواب والأنعام بل أفرادها أضل • والشابى لا يغرى بهذه الحياة أمتـــه بل هى رســـالة واغراء للجنس البشرى كله ولكل الشعوب الخاضعة تحت نير الاستعمار مهما كان شكله ، لكل الطامحين الراغبين فيها فى أى بقعة وفى أى زمان هـــذه الحياة استحقت من الشابى الاكبار لمـــا فيها من الكرامة والعزة والرقى ويستحق (الشـــعب) المعرف التعظيم والاعلاء •• ويقـــدم الشابى لفظ (الشـــعب) على الفعل (أراد) لأنه هو الذى يعنيـــه ويهتم به وليكون الفعل (أراد) محصورا بين التصريح بـــ (الشعب) وضميره فى الفعل لتقوية الفعل وتوكيده ويؤثر استخدام أداة الشرط « اذا » لتأكده من تحقق الجواب : (فلابد أن يستجيب القـــدر) وكأن القدر لا مشيئة له أمام ارادة الشعوب • ويرمز الى العقبـــات التى تعترض هـــذه الحيـــاة ولا تحول من تحققها (بالليل والقيد) المستعمر والتخلف الذى يفرضونه وعلى الشعوب أن تتطلع الى هذه الحيـــاة والا أصبحت رمادا تذروه الرياح فـــلا يكون له ذكر فى عالم الرقى والازدهار ••

والشابى وهو يسقط على شعبه المتقاعس شظايا لهيب شـــعره لا يعفى منها المستعمرين الطغاة أينما كانوا ، فيوجه نحوهم قوة ناره فى شجاعة صريحة وثورة عارمة تنـــدد بالمستعمرين للشعوب وترســـم الطريق للأحـــرار للخلاص منهم يلفح الشابى المستعمرين بدعائه لهم بالهـــلاك فى قوله :

لك الويل يا صرح المظـــالم من غـــد
اذا نهض المستضعفون وصـــمموا

يتهددهم من مستقبل بئيس شديد (غـــد) نكرة ، ويتوقع ذلك

عن طريق أداة الشرط (اذا) فهو لا يشك فى ذلك .. والذى يعجل بهذا المستقبل ، ان تصرح وتحصن بجبروته ، هو تصميم المستضعفين ونهضتهم وما أكثر ايحاء (صمموا) ثم يوضح ذلك فى قوله(٦١) :

اذا حطم المستعبدون قيودهم
وصبوا حميم السخط أيان تعلم
أغرك أن الشعب مغض على قذى
وأن الفضاء الرحب وسنان مظلم
ألا أن أحلام البلاد دفينة
تجمجم فى أعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتى بعد لأى نشورها
وينبثق اليوم الذى يترنم
هو الحق يغفى ثم ينهض ساخطا
فيهدم ما شاد الظلام ويحطم
غدا الروح ان هب الضعيف ببأسه
ستعلم من منا سيجرفه الدم

لقد حشد الشابى فى هذه الأبيات ألفاظا هى لهب يخرج من نفس حاقدة حقا كارهة صدقا على ذلك المستعمر ففى قلبه منه نار لا تخبوا وما أشد توضيح ذلك من تهديده « ستعلم من منا سيجرفه الدم » وهذه أصرح مظاهر شجاعته ودعوته الى الثورة الطائحة به فيا أيها المستعمر الباغى :

---

(٦١) قصيدة « الى الطاغية » ص ٤٣ (الديوان) .

رويـدك ! لا يخـدعنك الربيـــع

وصحو الفضـاء وضوء الصباح(٦٢)

يرمز لواقع المستعمر الذى يعيشه بـ (الربيع ـ صحو الفضاء ـ ضـوء الصباح) ..

ففى الأفـق الرحب هـول الظـلام

وقصف الرعـود وعصـف الرياح

حـذار ! فتحـت الرماد اللهيـب

ومن يبذر الشـوك يجن الجـراح

لقد تحولت بل انقلبت رقتـه الحالمـه الموشاة فى غنائه للحـب والطبيعـه الى شواظ من نار يصبه على اى طاغية يستعبد الشعوب ويتحـكم فى مصيرها . ان فى قلبه من المستعمر جمرة تتلذع ...

ذلك القـوى الظلوم الذى يعصر من الآلام السود لضـحاياه من الشعوب نـذة ومداما .

يتحساه ضاحكا .. لا يراها خلقت فى الوجود الا طعاما(٦٣) ..

والشابى وكل المصلحين يعلمون ـ علم اليقين ـ ما ينتظرهم من المستعمر الذى يهتز صرحه منهم فيعمل على الخلاص منهم حتى لا تتيقظ الشعوب وتظاهر القيـادات الذين يبصرون أبناء الامة بحقوقهم . يعلم الشابى أن المستعمر وعناصر الرجعيـة تضطهد دعاة الحرية وتحـول بينهم وبين أبناء الشعب .. قال الشابى :

---

(٦٢) الديوان قصيدة « الى طغاة العالم » ص ١٨٥ .

(٦٣) الديوان . قصيدة « أبناء الشيطان » ص ١٢٠.

كلما قام فى البـــلاد خطـيب
موقظ شـعبه يـريد صـــلاحه
ألبسوا روحـــه قميص اضطهاد
فاتك شـائك يرد جماحـــــه
أخمـدوا صـوته الالهى بالعسـ
ـف أماتوا صـداحه ونواحـــــه

هذه شاعرية الشابى وبطـولته (عبقريتـه) تحـقق لهـا من معانى البطولة الدعوة الى التحرير من الظلم بدافع (الحب) للأوطان ، على أساس من الدين والأخلاق : ولقـد قامت هـذه الشاعرية على اشراقة الدبياجة ، وغنى الجو الانفعالى المتولد من أداء الأفـكار والصور والانفعالات بالكلمات اللاذعة أكثر مما تقوم على الأفـكار والصور والانفعالات نفسها ، فألفاظ الشابى كلها بلورية هام بها الشابى من أعمق أعماقه .. لقـد أعجب بشاعرية الشابى النقـاد مما جعـل البعض يلقبـه : « بأب الشعر المعاصر » .. وبأن شعره « خـالد » وبأنه يفوق شـعراء عصره لمـا تحقق له من جمال الأسلوب ونقـاوته وقوة الصور الشعرية ومقدرة وذوقا لغـويا . تلمسه فى جميـع شـعره ..

رحم الله الشابى ولا حرم أمته من أمثاله .. لقـد أحسن القول ودعا الى هدى .. « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صـالحا وقال انني من المسلمين » ..

« صـدق الله العظيم »